التَّعليقُ

المُمتِعِ عَلَى القَوَاعِدِ الأربَع

الحَلَقَةُ الثَّالِثَةُ

كَتَبَهُ:

أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيّ

(الحلقة الثالثة)

التَّعليقُ المُمتع على القواعِدِ الأَربع

كَتَبَهُ:
أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيُّ



١٤٣٩ للهِجْرَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «**القاعدة الثانية**: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربى والشفاعة، فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣]؛ ودليل الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة: ٢٥٤]؛ و**الشفاعة المثبتة**: هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله -بعد الإذن- كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]».

بين الإمام رحمه الله في هذه القاعدة أصل عظيم يحتاجه كل مسلم في نفسه أولًا [1] ثم ليعرف حال غيره ثانيًا!، وهو أنه لا يلزم حتى يكفر المرء أن يقصد الكفر بالله ومحادته بل يكفر بمجرد وقوعه في الشرك الأكبر ولو قصد بإتيانه الشرك خيرًا!! وقد قال الله جل وعلا مخاطبًا خيار هذه الأمة وأصحاب رسولها من المهاجرين والأنصار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات: ٢]؛ فتبين أن الرجل قد يحبط عمله وهو لا يشعر وعليه فلا يشترط لحبوط العمل والتخليد في النار أن يقصد المشرك إلى الكفر بالله في قلبه فيفعل الفعل وهو لا يريد به إلا محادة الله ورسوله وإنما يكفي أن يأتي به بجوارحه ليكفر به ولذلك جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]؛ إلى آخر الآية، جلس ثابت في بيته، قال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي

---

[1] كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في "كشف الشبهات": «إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦]؛ وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم والذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين: الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته: كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس:٥٨]. وأفادك أيضًا: الخوف العظيم!، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصًا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأعراف:١٣٨]! فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

ﷺ فقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ: يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟ فقال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى!، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار!، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة»[٢].

وحسن ظن الكافر بنفسه مكر من الله به وعقوبة له على سوء عمله! قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ [الصف: ٥]؛ وقال: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]؛ وغيرها من الآيات... ولذلك أخبر ﷻ أن المشركين الأوائل ما عبدوا غير الله قصدًا للكفر وطلبًا لمحادة الله وإنما فعلوه بحسن نية حيث طلبوا به القربة إلى الله والشفاعة عنده وهذا منتهى المكر بهم والعياذ بالله أن يصبح الكفر عندهم من أقرب القربات إلى الله! قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وللمرء في الوقوع في الكفر ثلاثة أحوال:

- فقد يقع في الكفر وهو يعلم أنه كفر ولكن يحمله على الوقوع فيه طمع في دنيا يصيبها كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ

---

[٢] أخرجه مسلم باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٠/١) برقم: (١١٩).

ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل: ١٠٧].

- وقد يقع في الكفر وهو لا يعلم أن هذا الذي وقع فيه هو كفر، وهذا شر من الذي قبله، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]؛ فأخبر أنه لا يسمعهم الحق لأنه لا خير فيهم ولذلك لو سمعوه لتولوا عنه كما فعل أصحاب المرتبة السابقة!
- وقد يقع المرء في الكفر وهو يتقرب به إلى الله -بزعمه- وهذا شر الثلاثة وصاحبه قد مكر به غاية المكر -نسأل الله العافية- فأصبح وهو يطلب القرب من الله بما لا يزيده عنده إلا بعدًا والعياذ بالله، وهؤلاء هم الذين سماهم القرآن ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ وهذا الوصف لم يطلق في القرآن على غيرهم!

ومعلوم أن عامة شرك المشركين في كل زمان إنما هو في العبادة وفي الحكم كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]؛ وقال مخبرًا عن قوم شعيب: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾! [هود: ٨٧]؛ قال الشيخ الشنقيطي: «فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦]؛ وفي قراءة ابن عامر من

السبعة: ﴿وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ بصيغة النهي، وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]؛ فالأمران سواء كما ترى!»[٣].

واليوم نرى مشركي زماننا يسيرون على خطى الذين من قبلهم فيزعمون أن حكمهم بغير ما أنزل الله ودخولهم في المجالس التشريعية والبرلمانات الشركية إنما هو قربة إلى الله وإصلاح في الأرض وطلبٌ لرفعة الإسلام -من خلال الكفر به!- ولربما أشكل تكفيرهم على بعض من ينتسب للحق وأهله بحجة أن نيتهم في فعل الشرك نية صالحة، وما ذاك إلا لعدم وضوح هذا الأصل عنده ولو استقر عنده هذا الأصل لما تردد في كفر القوم طرفة عين، وقد سبق معنا قول الشيخ الشنقيطي في كون الشرك بالله في الحكم كالشرك به في العبادة، وعليه فكما أن الله لم يعذر عباد الأوثان من المشركين الأوائل مع إثباته لكون قصدهم بشركهم هو التقرب إليه فكذلك لا يعذر مشركي زماننا! فتأمل!، قال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: ٥١]؛ وحال هؤلاء كحال عباد الأوثان حين قالوا عن آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]؛ وقد كان عباد الأوثان عندما يحجون في جاهليتهم يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك» فجعلوا الله هو الإله الرئيسي والأوثان آلهة فرعية، ومشركي اليوم جعلوا الله هو الحكم

---

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٦٢/٧).

الرئيسي وطواغيتهم أرباب فرعية يشرعون لهم ما لم يأذن به الله قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ ﴾ [البقرة: ١١٨]؛ ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾! [المائدة: ٧٥].

ثم ذكر المؤلف رحمه الله دليلين على أن قصد المشركين الأوائل من فعلهم الشرك إنما كان مقصدًا حسنًا! فذكر دليلاً على أنهم كانوا يفعلون ذلك طلبًا للقربة ودليلاً على أنهم كانوا يطلبون به الشفاعة، والفرق بين القربة والشفاعة: أن **الشفاعة تكون لرفع الحوائج** أما **القربة فهي مطلق التقرب سواء كان لحاجة أو لغير حاجة، فكل شفاعة قربة ولا عكس،** ومعلوم أن الأصل في طلب الشفاعة -في أمور الآخرة- من الخلق أنه ممنوع لكون طلب الشفاعة إنما هو من الدعاء وصرف الدعاء لغير الله شرك ولذلك قال المصنف رحمه الله: «فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله -بعد الإذن- كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]» فالشفاعة المثبتة -أي في أمور الآخرة أو ما لا يقدر عليه إلا الله من أمور الدنيا- هي التي تطلب من الله والمنفية هي التي تطلب من غيره.

وحتى يشفع الشافع للمشفوع فلا بد من توفر شرطين:

- إذن الله للشافع بأن يشفع إذ هذه منزلة عالية لا تكون لكل أحد قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- رضى الله عن المشفوع عنه قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وجمع الله بين الشرطين في قوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم: ٢٦]؛ والمراد بالإذن أن يتحقق بالفعل بأن يأذن الله تعالى كما أخبر رسول الله ﷺ في خبر شفاعته يوم القيامة قال: «فأستَأذِنُ علَى ربِّي في دارِهِ فإذا رأيتُه وقَعتُ ساجدًا فيدَعُني ما شاءَ اللّهُ أن يدعَني ثمَّ يقولُ: ارفَع محمَّدُ قُل تُسمَع واشفع تُشفَّعْ وسَلْ تُعطَه فأرفَعُ رأسي فأحمدُه بثناءٍ وتحميدٍ يعلِّمُنيهِ فأشفعُ فيحدُّ لي حدًّا فأخرِجُهُم فأدخلُهمُ الجنَّةَ...»[٤] الحديث، فهذا هو الإذن «اشفع تُشَفَّع»! وما قبل ذلك حينئذٍ يكون التوجه للمخلوق فيه شرك وكل شفاعة تُطلب من مخلوقٍ قبل الإذن فهي شفاعة منفية!

قال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا

---

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ ولفظة "في داره" قال: «شاذة» وكذا قال الشيخ مساعد بن بشير حفظه الله عن أهل العلل والعلم، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٧٣) برقم: (٨٠٤)، وابن منده في الإيمان باب ذكر وجوب الإيمان برؤية الله ﷻ (٢/٨٣٣) برقم: (٨٦٣) كلاهما مرفوعًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨]: «**الشفاعة المنفية هي: الشفاعة للكفار، والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السماوات والأرض، أما الشفاعة للمؤمنين بإذنه فهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع**، فنص على عدم الشفاعة للكفار بقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ وقد قال: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧]؛ وقال تعالى عنهم مقررًا له: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠]؛ وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]؛ إلى غير ذلك من الآيات... وقال في الشفاعة بدون إذنه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وقال: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]؛ وقال: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]؛ إلى غير ذلك من الآيات... وادعاء شفعاء عند الله للكفار أو بغير إذنه، من أنواع الكفر به ﷻ، كما صرح بذلك في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

تنبيه: هذا الذي قررناه من أن الشفاعة للكفار مستحيلة شرعًا مطلقًا، يستثنى منه شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في نقله من محل من النار إلى محل آخر منها، كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح»[٥] انتهى كلامه رحمه الله.

---

[٥] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٥/١).

قال القرطبي في قول الله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾ [النبأ: ٣٧-٣٩]؛ : «أَيْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ إِلَّا فِيمَا أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ، وَقَالَ الْكِسَائِيّ: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ "بِالشَّفَاعَةِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقِيلَ: الْخِطَاب: الْكَلَام؛ أَيْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُخَاطِبُوا الرَّبّ سُبْحَانه إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ دَلِيله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [هود:١٠٥]؛ وَقِيلَ: أَرَادَ الْكُفَّار لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَشْفَعُونَ". قُلْت -أي القرطبي-: بَعْد أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وقَوْله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]» [٦] انتهى.

والإذن إنما يكون يوم القيامة كما قال تعالى: في الآية التي نقلها القرطبي: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فالمراد بالإذن أن يتحقق بالفعل أي يقع الإذن ويوجد وذلك يوم القيامة، وجميع الآيات محمولة على ذلك كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]؛ فهنا قيَّده بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ وهو نصٌّ صريح يُفسر جميع الآيات بأن المراد بالإذن هو أن يأذن الله تعالى بالفعل، بمعنى أنه يتحقق الإذن، ولا يصح أن تُطلب الشفاعة

---

[٦] تفسير القرطبي (١٩/١٨٦).

إلا بعد تحقق إذنه ﷻ، ومن هنا يتبين لنا أن ما ظهر اليوم من كون بعض أهل الجهاد يطلب من بعض إخوانه إن قتل وتقبله الله عنده شهيدًا أن يشفع له ضمن السبعين الذين يشفع فيهم الشهيد كما جاء في الحديث أقول من خلال ما سبق يظهر لنا بوضوح أن من فعل هذا فقد أشرك[٧]!!

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀: «وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها!، لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣]؛ فأخبر سبحانه أنه لا يقبل من الدين إلا ما كان خالصًا لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده! وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى -أي أن شركهم يقربهم إلى الله ويشفع لهم عنده- وكفرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي

---

(٧) هذا فضلاً عن كون المقتول إن تقبله الله عنده شهيدًا وأذن له بالشفاعة في سبعين من أهله فلا يلزم أن يكون قد رضي عن الذي يرجوا شفاعته وبالتالي فقد أحد شرطي الشفاعة!، وزد على ذلك أن شفاعة الشهيد إنما تكون في أهله لا في غيرهم كما نصت الأحاديث، وأما ما عداهم فالشهيد وغيره في ذلك سواء فقد يأذن الله له لصلاحه أن يشفع وقد لا يأذن حاله كحال غيره من المؤمنين، أقول ولو لم يكن في المسألة إلا ما ذكر هنا لكفى في بيان حرمة طلب الشفاعة من المجاهد فكيف والأمر شرك؟!

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨]؛ فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم! وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٤]؛ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ۝١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]؛ وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد [٨] كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ وقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]؛ فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى! كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]؛ وقال ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦]؛ فإذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن دونه تحت لوائه، لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء! بل: " يأتي فيخر ساجدًا فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك وقل تُسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم يحد له حدًا فيدخلهم الجنة" [٩] فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء؟! وهذا الذي

---

[٨] قلت: فخرج بذلك من يطلب الشفاعة من غير الله!

[٩] سبق تخريجه، انظر حاشية رقم (٤).

ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم»[١٠].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: «وإنما كان ذلك هضمًا لحق الربوبية، وتنقصًا لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، لأن المتخذ للشفعاء والأنداد، إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى مَنْ يدبّر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع، وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع، أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم، أو لا يكفي وحده، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه، كما هو حال ملوك الدنيا. وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أنه لا يسمع حتى يرفع الشفيع إليه ذلك، أو يظن أن للشفيع عليه حقًا، فهو يقسم عليه بحقه، ويتوسل إليه بذلك الشفيع، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم، ولا تمكنهم مخالفته، وكل هذا تنقص للربوبية، وهضم لحقها.

ذكر معناه ابن القيم: «فلهذه الأمور وغيرها أخبر تعالى أن ذلك شرك، ونزه نفسه عنه فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

---

[١٠] الدرر السنية (١/٨٥-٨٦).

وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

فإن قلت: إنما حكم تعالى بالشرك على من عبد الشفعاء، أما من دعاهم للشفاعة فقط، فهو لم يعبدهم، فلا يكون ذلك شركًا! قيل: مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك، والشرك لازم له كما أن الشرك ملزوم لتنقص الرب، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، وعلى هذا فالسؤال باطل من أصله لا وجود له في الخارج، وإنما هو شيء قدره المشركون في أذهانهم، فإن الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة، فإذا دعاهم للشفاعة، فقد عبدهم وأشرك في عبادة الله شاء أم أبى»[11].

وقال بعد ذلك بيسير: «﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]؛ وقال ابن كثير: «ليس لهم من دونه يومئذ ولي ولا شفيع من عذابه إن أرادهم به لعلهم يتقون، فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة»[12]، قلت: فنفى عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، فمن اتخذ من دون الله شفيعًا، فليس من المؤمنين، ولا تحصل له الشفاعة!

قال الإمام ابن القيم ﵀: «﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]؛ فأخبر

---

[11] تيسير العزيز الحميد (٢٢٩).

[12] تفسير ابن كثير (ت سلامة (٣/٢٥٩)).

سبحانه أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو -أي الله- لمن شاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي شفع عنده إنما شفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده -وهذه هي حقيقة الشفاعة-، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم في عقيدتهم وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤]؛ وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾ [الأنعام: ٥١]؛ وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السجدة: ٤]؛ فأخبر سبحانه أنه ليس للعبد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه، فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع بإذنه، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي

مالكه حتى يأذن له فيقول: "اشفع في فلان"[١٣]، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة -كما جاء في الحديث- أهل التوحيد الذين جرّدوا التوحيد وخلّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه»[١٤].

فرحم الله عبدًا احتاط لدينه وخاف الشرك ولزم الحذر وبالله المعاذ أن يعصمنا من الشرك أكبره وأصغره فإنه أخفى من دبيب النمل كما جاء في الحديث... والله المستعان ولا حول ولا قوه إلا بالله. والحمد لله رب العالمين.

وكَتَبَهُ:
أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيُّ

---

[١٣] قلت: فكيف يصح حينئذ أن يقال: «يا فلان إن تقبلك الله شهيدًا فاشفع لي» وهل هذا إلا التقدم بين يدي الله؟! وإذا كان ﷺ قد أخبر عن الملائكة بأنهم: ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]؛ فكيف بمن هو دونهم؟!

[١٤] إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (١/٢٢٠).